Route Educational and Social Science Journal

Volume 4(2), March 2017

Article History		
Received / Geliş	*Accepted / Kabul*	*Available Online / Yayınlanma*
15.03.2017	*15.03.2017*	*25.03.2017*

ABU NIZAR HASSAN BIN SAFI KNOWN AS THE KING OF GRAMMARIANS (568 AH) AND HIS ROLE IN PRAISE POETRY OF THE PROPHET

NAHİVCİLERİN ŞAHİ EBU NAZAR HASAN İBN SAFİ VE PEYGAMBERE ÖVGÜ KASİDESİNDEKI ROLÜ

Ferras Abdurrahman Annaccar[1]
Tarraf Tarık Annahhar[2]

Abstract

Prophet praise poetry is one type of Arabic poetry. It grew up in the sofi environments. It is one aspect of poetry that expresses religious sentiments. Its appearance played an important role in the history of Arabic literature because it is a variety of poetry which has been associated with the most important figure known to the Muslim nation, namely prophet Muhammad peace and blessings be upon him. Prophet praise poetry passed through several stages until it reached its completed image from both the moral and artistic perspective that we see in the collections of poets who have made the praise of the Prophet as their ultimate goal. As the poet Abu Nizar is a prolific prophet praise poet and the number of his poems is six, a number that we do not find with other poets who have written in this art before, this research studies these poems which have been compiled and investigated following scientific methodology. The study also highlights their most salient objective advantages. The poet followed the same style of his predecessors. He started the poems by mentioning Madinah which welcomed the prophet; then mentioning Ghowair and Najd which poets usually used to commence their poems with. The rhetoric study highlighted only Abu Nizar's religious poetry because it is the subject of the search. This poetry is different in content and features from other forms of his poetry. Thus, the image is clear and evident in the hands of researchers who are interested in this form of literary trend. The analysis was preceded by introducing the poet's biography and what scholars have said about him; then his teachers, students, and works. The steps followed in prophet praise poetry were highlighted; how they saw stages of development and moved on until this poetry reached the peak of maturity and completeness in the seventh hijra century. The research ended with a list of the used sources and references.

Özet

Peygambere Methiye tarsi şiirler Arap şiir geleneğinin önemli biçimlerindendir. Peygambare duyulan hürmet bu geleneği başlatmıştır. Nahivcilerin şahı olarak bilinen Ebu Nazar Hasan İbn Safi Peygambere Medhiye adlı şiiri ile kendisinden sonar gelenler için önemli bir çığır açmıştır. Bu araştırmada Ebu Nazar'ın yazdığı Medhiye'nin önemi ve şairin hayatı incelenmiştir.

[1] Anbar Üniversitesi, Irak
[2] Adıyaman Üniversitesi Türkiye, dtarraf@gmail.com

أبو نزار الحسن بن صافي المعروف بملك النحاة (ت568هـ) ودوره في قصيدة المديح النبوي

أ. د فراس عبد الرحمن النجـــــــار (جامعة الأنبار- العـــراق)
أ. م. د. طـراف طـــــــارق النهـــــــار (جامعة أديامـــان– تركيـا)

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله, وعلى آله وصحبه ومن وآلاه, واتبع هداه إلى يوم الدين, وبعد:

فإن بحثنا الموسوم: (أبو نزار الحسن بن صافي المعروف بملك النحاة, ودوره في قصيدة المديح النبوي), من الموضوعات الشعرية المهمة التي حظيت باهتمام الدارسين قديمًا وحديثًا, وذلك لارتباطها بأهم شخصيةٍ عرفتها الأمة, ألا وهي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد مرَّت قصيدة المديح النبوي بمراحل مختلفة كأي ظاهرةٍ أدبية, إذ لم تصل إلى صورتها المكتملة إلا بعد أن مرت بعوامل ومؤثرات دينية وتاريخية متعددة.

ومن هذا المنطلق جاء بحثنا ليميط اللثام عن هذا الشاعر ودوره في قصيدة المديح النبوي, إذ تبين لنا أنه من أكثر الشعراء إنتاجًا في هذه المرحلة, إذ رفد أدبنا العربي بست قصائد في المديح النبوي, وهذا كم لم نجده عند غيره من السابقين له. ومن جانب آخر فإن شعره مثل سمةً لحقبةٍ مهمةٍ من تاريخ أدبنا العربي بشكل عام, والمديح النبوي بشكل خاص. وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم على قسمين هما:

القسم الأول, ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: اسمه ونسبه, وسيرته وأقوال العلماء فيه, ثم شيوخه وتلاميذه ومصنفاته العلمية, وختمنا بذكر وفاته.

المطلب الثاني: خطوات المديح النبوي ودور أبي نزار فيه, ثم تناولنا الدراسة الموضوعية والفنية في قصائده المدحية.

أما القسم الثاني من البحث فقد انصب الجهد فيه على جمع وتحقيق النصوص الشعرية على وفق الخطوات العلمية المتبعة.

وقد أنهينا البحث بخاتمة, تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان وبعض التوصيات. وأخيرًا فإننا نأمل أن نكون قد ألقينا ضوءًا على دور أبي نزار وجهوده في المديح النبوي, فإن كان من تقصير فمن أنفسنا, وإن كانت الأخرى فمن الله وحده, وله الحمد أولًا وآخرًا.

توطئة:

لا يمكن لدارس موضوعات الأدب العربي أن يتغافل عن مكانة شعر المديح النبوي بمراحله المختلفة, وعندما نقول مراحل فإننا نعني أن أقلام المبدعين والشعراء سعت إلى تطويره وبث الإحساس والعمق في معانيه, ليصل إلى ذُرى الاكتمال التي رأيناها في قصائد الصرصري والبوصيري وغيرهما.

وكان أبو نزار البغدادي النحْوي أحد أولئك الذين أسهموا في اتساع رقعة هذا الفن. ومما زاد من أهميته أنه من رجال القرن السادس الهجري, إذ رفد أدبنا بست قصائد في المديح النبوي, فكان من أكثر الشعراء إنتاجًا, مقارنًة بمن تقدمه في القرون السابقة. هذا من جانب، ومن جانب آخر لم يلقَ شاعرنا الاهتمام الذي يستحقه على أهميته ومكانته العلمية, فكان الرأي أن نجمع غرر أخباره ونكشف اللثام عن أشعاره في المديح النبوي.

القسـم الأول:

المطلب الأول, التعريف بالمؤلف وسيرته وأقوال العلماء فيه وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته ووفاته.

1- اسمه ونسبه:

هو أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نزار البغدادي النحوي، مولى الحسين بن الأرموي التاجر، المعروف بملك النحاة، ذُكرَ أنه ولد ببغداد سنة (489هـ) في الجانب الغربي في محلة تعرف بشارع دار الرقيق، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي من بغداد إلى جوار حرم الخلافة المعظمة، وهناك قرأ وأتقن علوم العربية المتعددة كالنحو، والعلوم الشرعية كالقراءات، والحديث النبوي الشريف، والفقه والأصول، وعلم الخلاف، على يد كبار العلماء في عصره آنذاك[3].

2- سيرته وأقوال العلماء فيه:

أتقن أبو نزار البغدادي عددًا من العلوم مما مكنه من تصدر حلقات التدريس في أحد جوامع بغداد[4]، وتذكر المظان أنَّه سكن واسط مُدة, وذلك بعد العشرين والخمسمئة للهجرة, وحمل عنه أهلها أدبًا وعلمًا كثيرًا[5]، سافر بعدها إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة، ومن ثمَّ بلاد الشام, إلا أنه خرج منها ليعود إليها ويستوطن بها في رعاية

---

[3]) ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق: 71/13-76، وخريدة القصر: 89/3-137- ومعجم الأدباء: 122/8-139، ومختصر تاريخ ابن الدبيثي: 281/1، وإنباه الرواة: 305/1 – 310، وبغية الطلب: 429/2-434، ووفيات الأعيان: 134/1، وتاريخ الإسلام: 488/8، وتذكرة الحفاظ: 1323/4 ، وسير أعلام النبلاء: 512/20 ، والعبر: 204/4 ، والوافي بالوفيات: 56/12، ومرآة الجنان: 386/3، والبداية والنهاية: 272/12، والنجوم الزاهرة: 418/6، طبقات الشافعية: 302/1-304، وبغية الوعاة: 418/1، وكشف الظنون: 624، 628، 815، 1170، 1787، 1387، وشذرات الذهب: 227/4-228، وتهذيب تاريخ دمشق: 169/4 -173، ومعجم المؤلفين: 230/3، والأعلام: 193/2.

[4]) تاريخ مدينة دمشق: 71/13، والوافي بالوفيات: 56/12، وتهذيب تاريخ دمشق: 169/4 .

[5]) ينظر: طبقات الشافعية: 302/1.

الأمير العادل أبي القاسم محمود بن زنكي[6], الذي ظلّ يكرمه ويحسن إليه إلى آخر عمره رحمه الله.

أما أقوال العلماء في حقه فكثيرة، ولكن سنحاول إيراد بعضٍ منها باختصارٍ غير مخل:

قال ابن عساكر (ت571ه) بعد أن ترجم له بشكل مفصل: (كان صحيح الاعتقاد، كريم النفس)[7]، وذكره القفطي (ت646هـ) بقوله: (أحد الفضلاء المبرزين، بل واحدهم فضلًا، وماجدهم نبلًا، وكبيرهم قدرًا ورحيبهم صدرًا قد غلبت عليه سمة: ملك النحاة، وشهدتْ بفضله ألسن خِلاّنه والعِدَاة[8]، سمح البديهة في المقاصد النبيهة، عزيز النفس، كثير الأنفة عن المطالع الدنية، بالمطالب النزيهة، والمراتب الوجيهة، ... يأخذ القلم فيمشُقُ الطَّرْسَ[9] في عرضِهِ نظمًا يُعجز، ونثرًا يُعجب، ونكتًا ترقص ونتفًا تطرب)[10]. وذكره الدبيثي في تاريخه بقوله:

(درس النحو حتى صار أنحى أهل طبقته، وكان فصيحاً، ذكيًا، له نظم إلا أنه كان عنده عجبٌ وتيهٌ بعلمه، لقَّبَ نفسه ملك النحاة)[11]، وذكره ابن العديم (ت606هـ) فقال: (شاعرٌ، ناثرٌ، حسن الشعر والرسائل، عارفٌ بالنحو واللغة، وله مصنفاتٌ في كل فن منها)[12]. ونقل الصفدي (ت764ه)ـ كلام ابن عساكر، وزاد عليه قوله: (كان مطبوعًا، متناسب الأحوال والأفعال، يحكم على أهل التمييز بحكم ملكه فيقبل ولا يستثقل، وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتي، ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي. مُرّ الشتيمة، حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين، ويمشي وهو منها صفر اليدين)[13].

وقال عنه الذهبي (ت748ه)ـ بأنه: أنحى أهل طبقته، وكان فصيحًا ، ذكيًا متقعرًا، معجبًا بنفسه فيه تيه وبأو، ولكنه صحيح الاعتقاد...وكان يقال له: حجّة العرب، وأحد النحاة المبرّزين، والشعراء المتجددين[14].

وقال اليافعي (ت768ه): (كان نحويًا بارعًا، أصوليًا متكلمًا، رئيسًا ماجدًا)[15]

وذكره ابن قاضي شهبة (ت581هـ) بقوله: (كان متفننًا في العلوم غزير الفضل، لكن كان عنده عجب في نفسه وتيه ...)[16].

وهو عند السيوطي (ت911ه)، من أئمة النحاة، غزير الفضل، متفننًا في العلوم)[17].

---

[6]) ترجمته في خريدة القصر: 47/10.

[7]) تاريخ مدينة دمشق: 76/13، وكذا في تهذيب تاريخ دمشق: 173/4.

[8]) ويُجمع العدو على الأعداء والعدى والعداة والأعادي, ينظر لسان العرب, مادة (عدا) 33/15.

[9]) الطَّرسُ: الصحيفة ويقال: هي التي محيت ثم كتبت. ينظر لسان العرب مادة (طَرَسَ), 121/6.

[10]) إنباه الرواة: 344/1.

[11]) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي, للذهبي: 158/1-159.

[12]) بغية الطلب: 429/2.

[13]) الوافي بالوفيات: 53/13.

[14]) ينظر تاريخ الإسلام:488/8، وفيات سنة ثمان وستين وخمسمائة.

[15]) مرآة الجنان: 386/3.

[16]) طبقات الشافعية: 302/1.

[17]) بغية الوعاة: 417/1-418, وينظر: معجم المؤلفين: 230/3, والأعلام: 193/2.

أمّا المُحْدَثون الذين وضعوا لملك النحاة ترجمةً في مصنفاتهم فيلاحظ اتباعهم القدماء في آرائهم، لكنهم أضافوا صفاتٍ أخرى تتناسب مع عمق مقدرته اللغوية والأدبية، فمن ذلك قول عمر رضا كحالة بأنه: (نحْويٌ فقيهٌ، أصوليٌ، متكلمٌ أديبٌ، مقرئٌ، شاعرٌ)[18].

وقول الزركلي الذي وصفه بأنه: (من كبار النحْويين)[19]. كانت هذه أهم الآراء التي وردت في مصنفات القدماء والمحدثين عند ترجمتهم لأبي نزار الحسن بن صافي المعروف بملك النحاة.

3- شيوخه:

تشير مصادر ترجمة أبي نزار إلى أنه دَرَسَ على يد علماءَ أجلاءَ أنموا في نفسه حب التأليف بمختلف علوم العربية والدين الإسلامي، تلك التي تحتاج إلى وعي ومقدرة فائقة، ومن هؤلاء العلماء:

1- أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي (ت512ه)، أخذ عنه ملك النحاة علم الحديث[20].
2- أبو العباس الأشنهي, أحمد بن موسى بن حوشين (ت515ه)، أخذ عنه ملك النحاة علم المذهب[21].
3- الحسن علي بن أبي زيد محمد بن علي الاستراباذي الفصيحي النحوي (ت516هـ)، أخذ عنه علم النحو[22].
4- أبو الفتح أسعد بن محمد بن أبي نصر الميهني[23]، (ت527هـ) وقيل غير ذلك[24], وقد أخذ عنه أبو نزار علم الخلاف[25].
5- أبو الفتح بن برهان الأصولي الحمامي البغدادي (ت518ه)، أخذ عنه أبو نزار علم أصول الفقه[26].
6- أبو عبيد الله محمد بن أبي بكر القيرواني, وقرأ عليه علم الكلام[27].

---

[18]) معجم المؤلفين: 230/3.
[19]) الأعلام: 193/2.
[20]) تاريخ مدينة دمشق: 71/13، وتهذيب تاريخ دمشق: 169/4.
21)) تاريخ مدينة دمشق: 71/13، وتهذيب تاريخ مدينة دمشق: 169/4.
[22]) المصدران السابقان نفسهما .
[23]) نسبة إلى مدينة ميهنة، وهي ناحية بين أبيورد وسرخس.
24)) ترجمته في خريدة القصر: 333/2.
[25]) تاريخ مدينة دمشق: 17/13، وتهذيب تاريخ مدينة دمشق: 169/4.
[26]) تاريخ مدينة دمشق: 71/13، وتهذيب تاريخ مدينة دمشق: 169/4.
[27]) لم نقف على وفاته فيما توافر لنا من مصادر, ينظر, إنباه الرواة: 343/1, وطبقات الشافعية: 8/2.

4- تلاميذه:

كانت مجالس أبي نزار وحلقاته العلمية عامرة بطلبة العلم, وقد ذكرت كتب التراجم له ذلك, فقد تصدر للإفادة في بغداد, وواسط, وحلب, وغيرها, فتخرج على يديه كثيرٌ منهم, كان لبعضهم حلقات دراسية في مختلف العلوم. ومن تلاميذه[28]:

1- أبو طالب الحسين بن محمد بن أسعد الحنفي, المعروف بالنجم[29].
2- أبو المكارم محمد بن عبدالملك بن أبي جرادة الحلبي (ت565ه)[30].
3- أبو القاسم علي بن الحسن المشهور بابن عساكر (ت571ه)[31].
4- أبو بكر عبدالله بن منصور الباقلاني الواسطي (ت593ه)[32].
5- أبو الفتح عثمان بن هيجون النحوي (ت599ه)[33].
6- أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر النحوي (ت601ه)[34].
7- شميم الحلبي: هو علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلبي النحوي اللغوي، الشاعر، قدم بغداد وتأدب بها، ثم توجه إلى الموصل والشام، وديار بكر. توفي عن سنّ عالية سنة(601هـ)[35].
8- أبو المحاسن الفضل بن عقيل الدمشقي[36].
9- فتيان الشاغوري المعلم: هو الشهاب فتيان بن علي الأسدي الحنفي الدمشقي، المعروف بـ (الشاغوري المعلم) الشاعر المعروف، أخذ عن ملك النحاة النحو وعلوم العربية، وعند إقامته بالزبداني كان صاحب حلقة في جامع دمشق يقرئ النحو، اتصل بالملوك والولاة الأيوبيين، توفي سنة (615هـ)[37].
10- أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد, الدمشقي المشهور بابن الشيرازي (ت635ه)[38].
11- الذباب, وهو راوٍ لشعر أبي نزار[39].

أما أهم رواته الذين نقلوا عنه علمه وشعره فهم:

1- أبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني الواسطي.
2- أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ، وقد ذكره في تاريخه.

---

[28]) مما يشار إليه أن الدكتور حنا جميل حداد نشر دراسة بعنوان (ملك النحاة ، حياته وشعره ومسائله العشر، مع رد العالم اللغوي ابن بري).

[29]) ينظر بغية الطلب: 2745/6. ولم نقف على سنة وفاته.

[30]) بغية الطلب: 2390/5.

[31]) بغية الطلب: 2390/5.

[32]) بغية الطلب: 2390/5.

[33]) تاريخ الإسلام: 396/42.

[34]) بغية الطلب: 2390/5.

[35]) ترجمته في معجم الأدباء: 43/2.

[36]) بغية الطلب: 2390/5. لم نقف على سنة وفاته.

[37]) ترجمته في خريدة القصر، قسم شعراء الشام: 247/1-259، والنجوم الزاهرة: 226/6، 274.

[38]) بغية الطلب: 2390/5.

[39]) بغية الطلب: 2397/5.

3- أبو المحاسن الفضل بن عقيل بن عثمان العباسي.
4- أبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي[40].

5- مصنفاته:

ذكر العلماء الذين ترجموا لأبي نزار طائفةً من مصنفاته كان بعضها نقلًا عنه، مع وصف لكل مصنف من هذه المصنفات[41]، وهي:

1- أسلوب الحقّ في تعليل القراءات العشر، وشيء من الشواذ (مجلدتان) [42].
2- التذكرة السفرية (انتهت إلى أربعمائة كراسة) [43].
3- العروض مختصر محرر, وهو مصنف في الفقه على مذهب الشافعي وسماه الحاكم[44].
4- كتاب الحاوي في النحو (مجلدتان) [45].
5- ديوان مجموع من شعره[46].
6- العمد في علم النحو (مجلدة) [47].
7- كتاب المقامات (حذا فيه حذو الحريري)[48].
8- مختصر في أصول الدين[49].
9- مختصر في أصول الفقه[50].
10- المسائل العشر المتعبات إلى يوم الحشر[51].

---

[40]) ذكر ابن العديم أن لملك النحاة رواة لشعره وعلمه وهم: أبو بكر الباقلاني، وأبو القاسم الحافظ، وأبو المحاسن العباسي. ينظر بغية الطلب: 429/2، 432.
وانفرد الذهبي بذكر أبي نصر الشيرازي الدمشقي. ينظر تاريخ الإسلام: 488/8.

[41]) أغلب الذين ترجموا له قالوا: (له مصنفات كثيرة في الفقه والنحو، وله ديوان شعر)، وإنما وردت مصنفاته بهذا التفصيل في: تاريخ مدينة دمشق: 71/13-72، وبغية الطلب: 430/2، والوافي بالوفيات: 89/13، وبغية الوعاة: 418/1، وتهذيب تاريخ دمشق: 169/4-170.
مع ملاحظة أنهم لم يذكروا له كتابًا في المقامات ..! ، وقد انفرد ياقوت بذكرها تامة في كتابه معجم الأدباء: 23/8.

[42]) إنباه الرواة: 343/1, وبغية الطلب: 2392/5.

[43]) إنباه الرواة: 343/1, وبغية الطلب: 2392/5.

[44]) إنباه الرواة: 343/1, 344, وبغية الطلب: 2392/5.

[45]) إنباه الرواة: 343/1, 344, وبغية الطلب: 2392/5.

[46]) شذرات الذهب: 227/4, وفيات الأعيان: 93/2.

[47]) إنباه الرواة: 344/1, وبغية الطلب: 493/5.

[48]) أشار عماد الدين الأصبهاني أنّ لملك النحاة خمس مقامات، ثمّ ذكر خطبةً وصنفها لفصاحتها، وكلماتها البديعة المليحة على حدّ قوله، وجانبًا من الأشعار الواردة فيها.
ينظر خريدة القصر: 129/3-130، وذكرها أيضًا كل من: ياقوت في معجم الأدباء: 23/8، والصفدي في الوافي بالوفيات: 89/13، والسيوطي في بغية الوعاة :418/1، والأعلام: 193/2.

[49]) إنباه الرواة: 344/1, وبغية الطلب: 2392/5.

[50]) إنباه الرواة: 344/1, وبغية الطلب: 2392/5.

[51]) تاريخ الإسلام: 398/42.

6- وفاته:

تذكر المظان أنّ أبا نزار البغدادي النحْوي توفي بعد أن ناهز الثمانين[52] في دمشق يوم الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء التاسع من شوال سنة (568) للهجرة بمقبرة الباب الصغير[53] رحمه الله.

وقد ذكر الأديب (فتيان المعلّم)، المعروف بفتيان الشاغوري أنّه رآه في المنام بعد موته، فقال: ما فعل الله بك... ؟ فقال: أنشدته قصيدة، ما في الجنة مثلها، فعلق بحفظه أبياتٍ منها:

يَا هَذِهِ أَقْصِري عَنِ العَذْلِ ... فَلستِ فِي الحلّ ، ويكِ ، من قَبْلِي

يَا ربِّ ! هَا قَدْ أتيتُ ، مُعْتَرِفًا ... بِمَا جَنَتْهُ يَدايَ مِنْ زَلَلِ

مَلآنَ كَفٍّ بِكُلّ مأثُمَةٍ ... صِفْرَ يَدٍ مِنْ مَحَاسِنِ العَمَلِ

فَكَيْفَ أَخْشَى نَارًا مُسعّرَةً ... وَأَنْتَ ، يَا ربّ فِي القِيَامَةِ لِي؟

قال: فو الله منذ فَرَغْتُ من إنشادها ما سمعت حسيس النار[54].

المطلب الثاني:

1- خطوات المديح النبوي ودور أبي نزار فيه:

ولد المديح النبوي بعد الهجرة المباركة إلى المدينة، فكان لظهوره دورٌ مهمٌ في تاريخ أدبنا العربي؛ لأنه تيارٌ ارتبط بأهم شخصية عرفتها الأمّة، ألا وهي شخصية النبي المختار ρ، ولكن لنا أن نتساءل, هل سار المديح النبوي على وتيرة واحدة بمراحله المتعددة؟ أم أنه شهد خطوات من التطور والانتقال حتى وصل إلى ذروة النضج والاكتمال التي نراها في قصيدة القرن السابع الهجري؟ وللإجابة نقول:

نعم، إن المديح النبوي كأي ظاهرة أدبية أخرى, لم يصل إلى صورته المكتملة من الناحيتين المعنوية والفنية التي نراها في دواوين الشعراء الذين جعلوا المديح النبوي الشريف غرضهم الأساس كالصرصري[55]، ومن بعده البوصيري [56] وغيرهما، إلا بعد أن مرّ بعوامل ومؤثرات دينية وتاريخية أتاحت لنموها واكتمالها التجارب المختلفة بالقرون المتعددة، ولا سيما إذا علمنا أن لكل عهد دورًا فعالًا في غرس هذه الشجرة المتسقة الأركان والفروع، تلك التي أقر الرسول ρ

---

[52]) خريدة القصر: 92/3، والوافي بالوفيات: 89/13، ومرآة الجنان: 386/3.

[53]) تاريخ مدينة دمشق: 76/13، وطبقات الشافعية: 302/1، ووفيات الأعيان: 93/2، وتهذيب تاريخ دمشق: 173/4.

[54]) خريدة القصر: 137/3، وينظر: معجم الأدباء: 125/8.

[55]) الصرصري: هو أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري البغدادي، صاحب المدائح النبوية التي شهد العلماء قديمًا وحديثًا بعظم شأنها وعمق قيمتها، أما وفاته فلم تكن أقل حظًا من قيمة شعره إذا استُشهد مقتولًا على يد الغزاة من جند هولاكو سنة 656هـ.
ترجمته في العبر: 285/3-286، نكت الهميان: 308، والمنهج الأحمد: 220/2، 324.

[56]) البوصيري: هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد البوصيري نسبةً إلى أبو صير ودلاص، وقد اشتهر بقصيدته التي سميت بالبردة أما وفاته فمختلف فيها, ولكن أقربها للصحة أنه توفي سنة 696 أو 697 هـ .
ترجمته في الوافي بالوفيات: 111/3، البوصيري حياته وشعره: 45.

بهيأتها، وأعان على تثبيت جذورها عندما سمح للشعراء أن يقولوا كلمتهم لنصرة الدين وإعلاء كلمته[57].

غير أننا إذا أردنا الحديث عن أول قصيدة أخذت مسارها الصحيح الذي أوصلها إلى الصورة التي نراها لدى شعراء المديح في القرن السابع الهجري متجاوزين بذلك شعراء الدعوة والفتوح، والذود عن النبي ρ اختصارًا وليس لعدم الأهمية – فسنجد أمامنا أبياتًا للعباس بن عبد المطلب (عم النبي) الذي جعل للقصيدة منحىً آخر يختلف عمّا سبقه عندما أشار إلى الحقيقة المحمدية[58] في شعره إذ يقول[59]:

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلالِ وَفِي ... مُسْـــــتَودعٍ حَيْثُ يُخْصَـــفُ الوَرَقُ [60]

ثُمّ هَبَطتَ البِلادَ لَا بَشَر ... أنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ

بَلْ نطفة تركب السفين وقَد ... ألجمَ نَسراً وأهلهُ الغَرقُ

تنقّلُ من صَالبٍ إلى رحمٍ ... إذا مَضى عَالم بدا طبقُ [61]

حَتى احتوى بيتك المهيمن مِن ... خَنْدف عَلياء تَحتَها النطقُ [62]

وأنْتَ لمَّا وُلِدتَ أشرقتْ الـ ... أرضُ وَضَاءتْ بنورِكَ الأفقُ

فَنَحنُ فِي ذلك الضِّياءِ وفِي النُّـ ... ـورِ وسبلِ الرشادِ نَخْتَرِقُ

وقد أوضح الدكتور مخيمر صالح بأن أهمية القصيدة تنبع من أمرين:

الأول: أنها تضمنت ولو بشكل جزئي الحقيقة المحمدية، أو ما يُسمّى بالنور المحمدي، وذلك عندما ذكر العباس بن عبد المطلب τ أن الرسول ρ منذ القدم مستودع في صلب آدم وهو في الجنة، ثمّ انتقل من صلب إلى آخر حتى أضاءت بمولده الأرض.

أما الأمر الآخر فيكمن في أنّ الرسول ρ قد سمِعَ هذه القصيدة وأجازها، بل ودعا لصاحبها، وبذلك تكون الحقيقة المحمدية إسلامية النشأة[63].

وقد تعمقتْ أهميتها فيما بعد لتصبح عنصراً لا يمكن الاستغناء عنه في قصيدة المديح، يرافقها ذكر الديار المقدسة تارة وذكر أسماء الصحابة ومدح آل البيت تارة أخرى.

غير أنّ مدح آل البيت بشكل خاص أخذ بُعدًا آخر في عهد بني أميّة، إذ كان من خلاله يتمّ الإعلان عن رفض الحكم الأموي، والبحث عن سبيل يؤدي إلى تغييره [64].

---

[57] (أنه قال لحسان: (اهجهم أو هاجهم وجبريل معك) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري: 218/2، وغريب الحديث ρ) ورد عنه لابن قتيبة: 126/1.

[58] (يعد ابن عربي، الحقيقة المحمدية منتهى غايات الكمال الإنساني، فهي الصورة الكاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه حقائق الوجود.

[59] (المستدرك على الصحيحين للحاكم: 327/3.

[60] (طبت في الظلال: أي حللت طيبًا في صلب آدم (غريب الحديث لابن قتيبة: 127/1-128)، والأساس: 287.

[61] (يقال: مضى طبق بعد طبق, أي عالم من الناس بعد عالم (الأساس: 275).

[62] (الخندف: الخندفة، مشية كالهرولة، قالت ليلى القضاعية لزوجها إلياس بن مضر بن نزار: ما زلت أخندف في إثركم، فقال لها: خندف (العين: 335/4، والتاج: مادة (خندف).

[63] (ينظر المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري: 20-21.

[64] (ينظر بردة البوصيري وأثرها في شعر المديح النبوي: 26-27.

ومن الملاحظ أن هؤلاء الشعراء رغم كثرة المذاهب وتعدد الفرق في هذا العصر، وسعيهم إلى تقييد لفظهم وَفق ما يمليه عليهم الواقع السياسي والخلاف المذهبي، والتناحر الظاهر بينهم، يلاحظ أنهم في المديح النبوي الشريف يكادون يسلكون مذهبًا أقرب إلى التشابه منه إلى الاختلاف[65].

ومن تلك القصائد التي مدحت النبي ρ وآل بيته، قول أبي الأسود الدؤلي[66]:

يَقُوْلُ الأرذلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوالَ الدَّهرِ لا تنْسَى عَلِيًّا [67]
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَكَيْفَ يكونُ تركِي مِنْ الأعمالِ مَا يَقضي عَليا
أَحِبُّ مُحمَّدًا حبًّا شَديدًا وعباسًا وحَمزةَ والوَصِيا
وَجَعْفَرَ إنَّ جَعْفَرَ خَير سبطٍ شهيدًا في الجنانِ مهاجريًّا
وَمَا أنسَى الّذي لاقى حُسينٌ ولا حَسنٌ بأهونِهِمْ عليًّا
بَنُو عَمّ النَّبِي وأقربُوهُ أحبُّ النَّاسِ كلهم إليَّا

ومما يشار إليه أنّ شاعر المديح النبوي حرص على اختيار لفظه، وتمحيص معانيه، على طريقة الشعراء الأول الذين كان النبي ρ يرقبُ لفظهم، ويصحح معانيهم[68].

أما في العصر العباسي فيبدو أنّ الحياة المستقرة الآمنة التي شهدتها القرون الأولى قد أسهمت إسهامًا مباشرًا في أفول فنّ المديح النبوي، وسطوع نجم الأغراض الأخرى التي ترتبط بمنافع الشعراء الشخصية، كمديح الخلفاء والولاة، والهجاء، والغزل، وغيرها من الأغراض.

غير أننا نستطيع أن نحدد دورًا لهذه الحقبة التاريخية من خلال قصيدة مهمة قالها الإمام أبو حنيفة النعمان[69]، وقد استهلها بقوله[70]:

يَا سيِّدَ السَّاداتِ جِئْتُكَ قاصِدًا أَرجُو رِضَاكَ وأَحْتَمِي بِحِمَاكَا

وتكمنُ أهميتها في أمور نوجزها بالآتي:

أولاً: حاز الإمام أبو حنيفة النعمان قصب السبق في تضمين قصيدته صورًا من المعجزات النبوية التي أصبحت فيما بعد عنصرًا مهمًا من عناصر قصيدة المديح[71]، إذ يقول[72]:

---

[65]) ينظر: المصدر السابق.

[66]) أبو الأسود الدؤلي، واسمه ظالم بن عمرو توفي سنة 69هـ . ترجمته في معجم الأدباء: 34/12. والأبيات في ديوانه: 30.

[67]) بنو قشير: هم بنو قشير بن كعب بن قيس قبيلة (العين: 373/1).

[68]) إشارة إلى تعليق النبي على بيت كعب:ρ

إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستَضاءُ بِهِ وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ الهِنْدِ مَسْلُولُ

فقال عليه الصلاة والسلام: (وصارم من سيوف الله مسلول). ينظر الخبر في: المدائح النبوية بين الصرصري والبويصري: 22.

[69]) أبو حنيفة النعمان بن ثابت، أحد أئمة المذاهب الأربعة، توفي سنة 150هـ . ترجمته في :الأعلام: 36/8 .

[70]) القصيدة أوردها صاحب كتاب السمو الروحي في الأدب الصوفي: 426 وهي – أي القصيدة – لا تزال على حد علمنا مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق وهي تحمل عنوان (الدر المكنون) تحت رقم: 10638 .

[71]) المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري: 25.

[72]) سبق تخريج القصيدة ، والأبيات وردت في المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري: 25.

لَكَ مُعْجِزاتٌ أعْجَزَتْ كُلَّ الوَرَى وَفَضَائِلٌ جَلّتْ فَلَيْسَ تُحَاكَا
نَطَقَ الذِّرَاعُ بِسَمّهِ لَكَ مُعْلِنًا والضَبّ قَد لبّاكَ حِيْنَ أَتَاكَا
وَكَذَا الوُحُوشُ أَتَتْ إلَيْكَ وَسَلّمَتْ وَشَكَا البَعيرُ إلَيْكَ حَيْنَ رَآكَا

إلى آخر الأبيات...

وقد أخذها الشعراء عنه كما هي؛ لأنها صدرت عن أحد الأئمة الأربعة الذين عرفوا بحفظهم للسيرة النبوية العطرة، والأحاديث الشريفة[73].

ثانياً: إنها تمثل ردًّا على الدكتور علي صافي حسين الذي ذهب إلى أن (المدائح النبوية فن استحدثه المصريون في القرن السابع، إذ لم يكن له من قبل وجود لا في مصر ولا في غيرها من الأقطار العربية والإسلامية على الإطلاق)[74].

ويختتم رأيه بقوله أن ذكر الديار المقدسة والحنين إلى أرض نجد والحجاز (من فنون الشعر التي انفرد بها المصريون واستحدثوها مثلهم في ذلك مثل مديح الرسول ρ سواء بسواء)[75].

ولا يخفى أن في تراثنا الأدبي أشعارًا كثيرةً قيلت قبل القرن السابع الهجري تفند هذين الرأيين، وتثبت عدم دقتهما، فمن ذلك مثلًا أبياتٍ لأبي عبد الله الشقراطيسي (ت 496هـ) في مدح النبي ρ يقول في أولها[76]:

الحَمْدُ للهِ مِنَّا بَاعِثُ الرُّسُلِ هَدَى بِأَحْمَدَ مِنَّا أَحْمَدَ السُّبُلِ
خَيْرِ البَرِيَّةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرٍ وَأَكْرَمُ الخَلْقِ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ

وقد تميزت بطولها لأنّها تناولت سيرة الرسول الأعظم من ولادته إلى وفاته.

كما أنّ لأبي المظفر محمد الأبيوردي (ت 507 هـ) قصيدة في مدحه ρ، ومطلعها[77]:

خَاضَ الدُّجَى وَرواقُ اللّيْلِ مَسْدولُ بَرْقٌ كَمَا اهتزّ مَاضِي الحدّ مَصْقُولُ

ولا بد أن نذكر في هذا المقام لامية لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) قالها في مدح النبي ρ ومطلعها[78]:

---

[73]) ينظر المصدر السابق.

[74]) الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري: 216.
مما تقتضيه الأمانة العلمية أن الدكتور ناظم رشيد ردّ على هذا الرأي بالأدلة العلمية القاطعة في كتابه، المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع للهجرة : 24 - وما بعدها.

[75]) الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري: 218.
وقد أوردنا في دراستنا لديوان الصرصري ردًا على هذا الرأي معقودًا بالدليل، وقد جاء متوافقًا مع رأي الدكتور عبد الكريم توفيق العبود في كتابه. ينظر: ديوان الصرصري بتحقيقنا: 11، وينظر: الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد: 288-289.

[76]) هو أبو عبد الله بن أبي زكريا الشقراطيسي (ت 496هـ).
ينظر ترجمته وقصيدته في: المجموعة النبهانية: 199/3.

[77]) هو أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق الأبيوردي (ت 705هـ).
والأبيات في ديوانه: 97/1 .

أَضَاءَ لي باللوى والقلْبُ مَثْبُولُ نجديّ برقٍ بِنَارِ الحبّ مَوْصُوْلُ

وهي كما تبدو من اللمحة الأولى تقليد فني لقصيدة كعب (بانت سُعاد)، وله قصيدةٌ أخرى أجراها على منهج القدماء في تأليف قصائدهم، ومطلعها[79]:

قَامَتْ لِتَمْنَعَني المَسِيْر تَمَاضُر أنّى لَهَا وَغرارُ عَزْمي بَاتِرُ

وقد أودعها أشواقه وحنينه لرؤية الديار المقدسة، ثم ختمها بالتوسل والرجاء.

ولنا أن لا ننسى شاعرنا الحسن بن صافي الذي نحن بصدد دراسة شعره وسنقف على دوره لاحقًا في دراستنا.

ثالثاً: اختتمت القصيدة بالتوسل والرجاء، وهو عنصرٌ آخر التزمه الشعراء كما أشرنا آنفًا في قصائدهم؛ لأنّ فيه السبيل إلى نوافذ غاياتهم وآمالهم التي يتمنون تحقيقها، ولا سيما بعد أن أحسوا بابتعاد النجاة عن بلادهم، وهم بين أنياب الاحتلال الصليبي من الغرب، والتتري من الشرق.

لتكتمل بذلك المعطيات النهائية لقصيدة المديح وفق بناء يتصف بالجدّة والترابط بشكل لم نشهد نظيره في القرون الأربعة السابقة.

كما يلاحظ أنّ الشعراء قد التزموا بها من بعده حتى نهاية القرن السابع الهجري.

وبعد أن وقفنا مع قصيدة المديح النبوي بمراحلها المتعددة، وبيَّنَّا دور كل مرحلة من هذه المراحل كان لزامًا علينا أن نبيّن دور الشاعر أبي نزار في إنماء هذا التيار الأدبي العريق، ونوضّح أهميته؛ لنحدد بذلك مدى تأثيره على هذه المرحلة فنقول:

إن أبا نزار شاعر عاش في القرن السادس الهجري كما أسلفنا سابقًا عند الحديث عن حياته، وقد رفد أدبنا بست قصائد في المديح النبوي، هذا عدد لا نجده عند غيره من الشعراء الذين كتبوا في هذا الفن[80].

بمعنى أنّه أكثر الشعراء إسهامًا في هذا الفن, مقارنةً بمن سبقه من الشعراء في القرون الستة السابقة، ولا يخفى ما لهذا الأمر من خصوصية مؤثرة في دراسة الأدب النبوي، أما الأهمية الأخرى فمن الملاحظ أن هذا الشاعر لم يلتفت إليه الباحثون, أو النقاد من قبل، كما أشار إلى ذلك الدكتور مخيمر صالح مبينًا أن شعره يمثل سمةً لحقبةٍ مهمةٍ من تاريخ أدبنا العربي بشكل عام، والمديح النبوي بشكل خاص[81].

فكان الرأي – بعد مشيئة الباري – أن نقف على المظان التي ذكرت تلك القصائد من أجل جمعها, وتحقيقها وفق الخطوات العلمية، ومن ثمَّ إبراز أهم مميزاتها الموضوعية, والفنية, حتى تكون واضحةً جليةً بين يدي الباحثين الذين يهتمون بهذا الاتجاه الأدبي.

---

[78]) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد صاحب الأساس والكشاف، توفي سنة 538 هـ . ترجمته في : معجم الأدباء: 126/19، وبغية الوعاة: 229/2. والقصيدة في المجموعة النبهانية: 34/3.

[79]) المجموعة النبهانية: 135/2.

[80]) ينظر: المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري: 32.

[81]) ينظر: المصدر نفسه.

2- الدراسة الموضوعية:

لم يخرج الشاعر في أسلوبه عمن سبقه في ابتداء أماديحه، فتارة يذكر يثرب، المدينة التي استقبلت النبي ρ بعد أن أخرجه قومه من مكة لتصبح موطن الهداية، ومنارة الدعوة، وتارة يذكر الغوير، ونجد، وهي ديار طالما التزم الشعراء بذكرها مفتتحًا لقصائدهم، فمن ذلك قوله[82]:

يَا قَاصِداً يَثْرِبَ الفَيْحَاءَ مُرْتَجِيًا ... أَنْ يَسْتَجِيْرَ بِعَلْيَا خَاتَمِ الرسلِ
خُذْ مِنْ أَخِيْكَ مَقَالا إنْ صَدَعْتَ بِهِ ... مُدِحْتَ فِي آخرِ الأعصَارِ والأولِ
قُلْ يَا مَنِ الفَخْرُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ فإن ... تذْكِرَ الفَخْرُ لَم يَصدفْ وَلَمْ يَمِلِ
صيْت إذَا طلبت غَاياتُه خَرقت ... سَبعاً طباقاً فبزَّت كل ذي أَمَلِ
عَلَوتَ وازددت حتى عَاد مُمتدِحًا ... جِبريْل عمَّا لَه قد كان لم يطلِ
وعدتَ والكبر قَد نَافى عُلاك فَمَا ... عدوت شيمة سبط الخلقِ مبتهلِ
أتتكَ غُرُّ قَوَافي المَدحِ خَاضعةً ... لَديكَ فاقْبَل ثَنَاءً غَيْر مُنتحلِ
ثنَاء مَن لَم يجد وجناء تَحمِلُهُ ... إليكَ أوصدَّ بالإقتارِ عَنْ جملِ
صَلّى عليكَ إله العرشِ مشْتمِلاً ... عليكَ يا خيرَ من حَافٍ ومنتعل

ومن الملاحظ أنّ الشاعر يكاد لا يفصل بين مقدمته وموضوعه الأساس، وذلك لقصر قصائده، إذ لم تتوسع المعاني وتمتد الأبيات إلا في العهد الذي تلا أبا نزار، وقد وصل إلى ذروته على يد أبي زكريا يحيى بن يوسف الصرصري، ذلك الشاعر الذي قال عنه الصفدي: (لا أعلم شاعرًا أكثر من مدائح الرسول أشعر منه)[83] وقال عنه ابن تغري بردي: (كان من العلماء الفضلاء الزهاد العباد وكان له اليد الطولى في النظم، وشعره في غاية الجودة، ومدح النبي ρ بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرة)[84].

وكانت بعض قصائده تتجاوز الثمانين أو المائة بيت, وقصيدته التي أسماها بـ (الروضة الناضرة في أخلاق محمد ρ الباهرة) تمتد إلى ثمانمائة وخمسين بيتًا ومطلعها[85]:

سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والبُرهَانِ ... والعزِّ والملكوتِ والسُّلطانِ
وَالحَمْدُ للهِ الكريمِ الرازقِ الـ ... ـخلاقِ متقنِ صَنْعَةِ الإنسانِ

إلى آخر الأبيات.

وهذا الامتداد في الأبيات سمح للشاعر أن يطيل في مقدمته وعند ولوجه في غرضه الأساس، وهو المديح النبوي نجده لا يتحدث عن صفات النبي ρ ومعجزاته فحسب،

---

[82]) القصيدة (5) ص: 26-27 ، وقد سبق أن أشرنا أن الدكتور حنا جميل حداد درس حياته وشعره.

[83]) نكت الهميان: 308.

[84]) النجوم الزاهرة: 66/7.

[85]) ديوان الصرصري: 467-533.

وقد حققها بمفردها الدكتور نوري حمودي القيسي ونشرها ضمن كتاب (أربعة شعراء عباسيون)، ينظر الصفحات: 17- وما بعدها.

وإنما يضيف إلى ذلك الحديث عن غزواته وفتوحاته، عن صحابته البررة، ولا سيما العشرة المبشرة منهم، كما في قوله في قصيدة أخرى[86]:

وَأُمَّتُهُ خَيرُ القرونِ وخيرهم صَحَابته أزكى الأنَامِ وأرْوعُ
وَخيرهُم الصَّدِيق إذ هُو مِنْهم إلى السَبقِ في الإسلامِ والبرّ أسْرعُ

ثم ينتقل بعد عدة أبيات للحديث عن الفاروق بقوله[87]:

وَمِنْ بَعْدِهِ الفاروْق مُظهر دِينِنَا بإسْلامِهِ والأمْرُ خَافٍ مُبَرقَعُ

وعلى هذه الخطا يسير الصرصري حتى يستوفي الأعلام الذين يريد ذكرها في قصيدته ثم يختتم ما بدأ به بالدعاء[88]:

فَسَلْ رَبَّكَ الرَّحمنَ أنْ لا يزلنا عَنِ السنَّةِ المُثلى فأنتَ مُشَفّعُ
عَليكَ سَلامُ اللهِ مَا عاقبَ الدُّجى صَبَاحٌ وَمَا لاحَتْ بَوارقُ تَلْمَعُ

ويبدو أن هذه الإطالة في القرن السابع الهجري لها مُسوّغاتها، فالأمّة بعد قوتها بدأت في هذه المرحلة تتهشمُ أركانها، وكان الشاعر يحتاج في عرض فكرته إلى حشدٍ من الصور المشرقة التي غرسها الرسول ρ وظهرت ثمارها عند صحابته الكرام رضي الله عنهم؛ ليستنهض الهمم وينبّه من الغفلة التي غرق بها الناس بلا إحساس بالخطر المحدق بهم من الشرق.

ومن الموضوعات الأخرى التي يمكن أن نرصدها في أماديح أبي نزار ذكره للحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية. ويعني هذا أن المديح النبوي يشيد بالرسول باعتباره سيد الكون والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خِلقةً وخُلقًا، فيقول[89]:

يَا خَاتَمَ الأنْبِيَاءِ قَاطِبَةً أتَاكَ لَفْظُ الثّنَاءِ يَسْتَبِقُ
كُنْتَ نبيًا وَطِيْنُ آدَمَ مَجْـ ـبُوْلٌ وَتِلْكَ الأنْوَارُ تَأْتَلِقُ
وَعُدت فِيْنَا هُدى إلى سُبُلِ الـ ـحقّ فَقَدْ أَوْضِحَتْ بِكَ الطُّرُقُ

ولم تخلُ قصائده من الحديث عن صفات النبي ρ وحديث الإسراء والمعراج كما في قوله[90]:

يَا مَن رَأى المَلأ الأَعْلَى فَرَاعَهُمُ وَعَادَ وَهْوَ عَلَى الكَوْنَينِ يَحْتَكِمُ
يَا مَنْ لَهُ دَانَتِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَتِ الـ أُخْرَى وَمَنْ بِعُلَاهُ تَفْخَرُ النَّسَمُ

وقد اعتاد الشاعر على أن يختتم قصائده بالصلاة على رسول الله ρ كما في قوله[91]:

صَلّى عَلَيْكَ إلهُ العَرْشِ مُشْتَمِلاً عَلَيْكَ يَا خَيْرَ مِنْ حَافٍ وَمُنْتَعِلِ

---

[86]) ديوان الصرصري: 288.
[87]) المصدر نفسه: 289 .
[88]) المصدر نفسه: 295 .
[89]) القصيدة رقم (3) ص: 25.
[90]) القصيدة رقم (6) ص: 28.
[91]) القصيدة رقم (5) ص: 27.

وقوله[92]:

فَاقْبَل إلَيْكَ اختصارًا عُذرَ قَائِلِهِ إنْ حَقّ مَدحُكَ لَمْ يبلغْهُ تَطويلُ

وَلتُرْضِكَ الصلواتُ الغرُّ دائمةً يَزِيْنُ أَمْرَاطَهَا مَا شِئْتَ تَرْفِيْلُ

كانت هذه أهم اللمحات الموضوعية التي يمكن أن نرصدها في أماديح الشاعر أبي نزار البغدادي.

3- الدراسة الفنية:

ليس من اليسير علينا أن نعطي انطباعًا يتماشى مع خصائص شعر أبي نزار البغدادي بشكل عام؛ ذلك لأننا أمام دراسة شعره الديني فقط، وهو بالضرورة يختلف في مضمونه ومميزاته عن صور شعره الأخرى.

ومن جانب آخر ذكر القدماء الذين ترجموا له بأن لديه ديوان شعر لا نعلمُ عنه شيئًا من حيث صوره، ومن حيث لغته وأسلوبه.

إلا أننا سنحاول أن نضعَ سماتٍ عامّةً، وأخرى خاصّة تتعلق بقصائد شاعرنا الذي نحن بصدد دراسته وكالآتي:

1- في محاولة لعرض أفكاره, لا نكاد نلمس اختلافًا بينه وبين شعراء المديح النبوي إلا من حيث اللفظ، بل لا نغالي إذا قلنا بأنهم قد يتفقون حتى في ألفاظهم، وهذا ما دفع النقاد إلى أن يتهموا كل شاعر أخذ قافية اللام المضمومة, بأنّه مقلّدٌ لقصيدة كعب (بانت سعاد ...) [93].

ولكن يمكن أن نفسر ذلك تفسيرًا آخر فنقول:

إن المعاني أو الرموز الدينية التي لم يجد الشاعر بدًا من ذكرها محدودة ومهمة في آن واحد، وهذه الأهمية منعت الشعراء من أن يحاولوا إيجاد بديل لها.

ومن أمثلة ذلك الديار المقدسة، والحقيقة المحمدية, والمعجزات النبوية, وغير ذلك. كما أن الشعر الديني لم يكن – بعد عصر البعثة – في يوم من الأيام ميدانًا لإظهار المقدرة الأدبية، والبروز على الآخرين، وإنّما ارتبط في الأعمّ الأغلب بقيمة سامية في ذات الشاعر، وهذا بالضرورة له تأثيرٌ مباشرٌ على سبل النظم التي يتبعها الشعراء.

---

[92]) القصيدة رقم (4) ص: 26.

[93]) ينظر, قصيدة الأبيوردي (ت 517 هـ)، ومطلعها:
خَاضَ الدُّجَى وَرُوَاقُ اللَيْلِ مَسْدُوْلُ بَرْقٌ كَمَا اهْتَزَّ مَاضِي الحَدِّ مَصْقُوْلُ
والتعليق الوارد في المدائح النبوية بين الصرصري والبوصيري: 31-32.
وقصيدة علي بن محمد العمراني (ت 560هـ) ومطلعها:
كَمَا يُهزُّ اليَمَانِـــــي وَهْـــوَ مَصْقُـــــوْلُ أَضَاءَ بَرْقٌ وَسُجفُ اللَيْلِ مَسْدُوْلُ
والتعليق الوارد في المدائح النبوية للدكتور ناظم رشيد: 27-28.
وكذا الحال في الصفحات: 36-37.

2- أمّا لغته وأسلوبه فنلاحظ أن أبا نزار البغدادي اختار الابتعاد عن التعقيد اللفظي، والغموض المعنوي في نَظمِ أبياته، فلا يحتاج قارئها إلى معجم لغوي إلاّ في القليل النادر، ولا سيما في قوله[94]:

وَلْتُرْضِكَ الصَّلَوَاتُ الغُرُّ دَائِمَةً يَزِيْنُ أَمْرَاطَهَا مَا شِئْتَ تَرْفِيْلُ

وكذا الحال مع صوره؛ إذ إنها لم تتخط حدود السهولة وعدم التركيب في بنائها، غير أنها بقيت في منطقة التأثير التي تُعَدُّ لازمةً من لوازم الشعر الديني، ولم تقع في لجّة الانحدار الذي قد يقع به بعض الشعراء الذين لا يملكون زمام لفظهم، ومقاليد معانيهم.

3- من خلال دراستنا لأبياته الشعرية نلحظ أن أساليب التنبيه قد أدّت دورًا مهمًا في شعره، ولا سيما في مقدمات قصائده، تلك التي قد أخذت أشكالاً متعددة.

فتارة يبتدئ قصيدته بأسلوب النداء كما في قوله[95]:

يَا خَاتم الأنبياءِ قاطِبةً أتاكَ لَفظُ الثناءِ يستَبِقُ

وتارة يبتدئ بأسلوب الاستفهام كما في قوله[96]:

مَنْ حَامِلٌ عَنْ أَخِيْهِ سَبْكَ مَألكَةٍ يَهزّهَا إنْ أفِيْضَ القَالُ والقِيْلُ
يَقُوْلُ والْحُجُرَاتُ الغُرُّ تَسْمَعُهُ وَالوَفْدُ كُلٌّ بِمَا يَعْنِيْهِ مَشْغُوْلُ
هَلْ سَامِعٌ يَا رَسُوْلَ اللهِ أَنْتَ لِمَنْ وَلاؤُهُ لَكَ مَرْوِيٌّ وَمَنْقُوْلُ

وهما أسلوبان يهيئان للشاعر سبيلًا يسلكه للإفصاح عن فكرته بشكل أدق وبطرق متعددة.

4- استخدم الشاعر الجمل الفعلية الدالة على التوتر والحركية والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجد كذلك المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية قصد خلق الوظيفة الشعرية بمكوناتها الإيحائية والمجازية. وغالبا ما يستوجب مكون السيرة وسرد المعجزات الأسلوب الخبري، بينما يفترض تدخل الذات وإظهار المشاعر والانطباعات الانتقال من أسلوب إنشائي إلى آخر حسب السياقات المقصدية والوظيفية.

يقول[97]:

بَلغْتَ مِنْ غَايَةِ الإكْرَامِ مَنْزِلَةً عَنْهَا أُعِيْذَ الأمِيْن الرُّوح جِبْرِيْلُ
فَعَادَ مَنْ رَامَ كفؤا من مَدَائِحه يزهى ومقوله بِالعَجْزِ مفلُولُ
فَاقْبَل إلَيْكَ اختصارًا عُذرَ قَائِلِهِ إنْ حَقّ مَدحُكَ لَمْ يبلغْهُ تَطويلُ

وفي المجمل فإن المديح النبوي يتميز بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول صلى الله عليه وسلم, طمعًا في شفاعته يوم الحساب. وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حب الأماكن المقدسة والشوق العارم إلى

---

[94]) القصيدة رقم (4) ص: 26.
[95]) القصيدة رقم (3) ص: 25.
[96]) القصيدة رقم (4) ص: 25-26.
[97]) الأبيات في تاريخ مدينة دمشق: 73/13 ، وبغية الطلب: 429/2 وتهذيب تاريخ دمشق: 170/4.

زيارة قبر الرسول والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج.

كانت هذه أبرز الملامح الفنية, التي وردت في القصائد الست التي مَدَح بها النبي ρ.

القسـم الثاني:
النصوص المجموعة والمحققة

(1)

قال يمدح رسول الله ρ [98] : (من الطويل)

1. رَأى البَرْقُ غُوْري الوَمِيْضِ فَانْجَدا وَأَصْدَرَ رَكْبٌ فِي العَقِيْقِ فَأَوْرَدَا [99]
2. وَمَا بَرِحَت أَبنَاءُ مَيَّةَ غَضَّةً لَدَيْهِ إلى أنْ حَار بِالعقْلِ وَاعتَدَا [100]
3. رَأى الشَّيْخَ مَمْطُورًا فَمَال بِظلّهِ ومَدَّ إلَى أَطْرَافِ طُرّتهِ يَدَا [101]
4. أَمَالَ إلى خَفْقِ النَّسيْمِ بِجَانِبِي عطالة لما مَرّ واستنزل الندى [102]
5. أَشْيَعَتْ مِقْلاقُ الوَضِينِ يَهُزّهُ إلى البَانِ وَجْدٌ لا يَزَالُ مؤبّدَا [103]
6. تَذَكَّرَ عَهْدًا كَاظِمِيًا وَطَالَمَا تَذَكَّرَ مَجْهُولُ المَعَارِفِ مَعْهَدَا [104]
7. وَلَكِنَّهُ مِمَّنْ إذَا انْتَسَبَ احْتَبَى لِفَخْرٍ وَإنْ جَاثَاهُ ذُو القُوَّةِ انْتَدَى [105]
8. إذا ذُكِرَتْ أَيَّامُ أَدْوَاءِ قَوْمِهِ صَحَا بجعلٍ راحَ لِلْفَخْرِ أَوْ غَدَا [106]
9. وَموّار رحل النضو منتصب القرا تراه كَمَا أمضيتَ سَهما مسددا [107]
10. تَنَاقَضَهُ مَعْرُوفه كُلّمَا وَنتْ أَرَاهَا وَملْوَى الجَانِبَيْنِ مُقَدَّدَا [108]
11. يَهزُّ إلى أَعْلام يَثْرِبَ همه كما هَزّ في يوم الحروب مهندا [109]

---

[98]) القصيدة في تاريخ مدينة دمشق: 13/74-75 ، وبغية الطلب: 2/431، وتهذيب تاريخ دمشق: 4/171.

[99]) رواية البيت في بغية الطلب (... علوي الوميض ... وأصدر ركب بالعقيق) ورواية البيت في التهذيب: (... ركب بالعقيق ...) .
قوله: (غوري ...) إشارة إلى الغور وناحيته مما انخفض من الأرض .
وقوله: (انجدا ...) أي أتى نجدًا وناحية مما ارتفع من الأرض وهذا المعنى مأخوذ من قول الأعشى:
أغَار لَعمري فِي البِلادِ وأَنْجَدَا نَبِيٌّ يَرَى مَا لا تَرونَ وَذِكْرُهُ
ديوان الأعشى : 135، وينظر الكامل في اللغة : 1/133.

[100]) أبناء مية: مية اسم امرأة، وقد استعمله الشعراء كثيرًا، وقوله: (غضة ...) أي طرية, الصحاح: (مادة غضض) .

[101]) ممطورًا: أي أصابه المطر، والشاعر هنا يعني الخير (الأساس: 432).
والطرّة: الناحية, الصحاح مادة :(طرر).

[102]) خفق النسيم: دوي جريها, الصحاح, مادة: (خفق).

[103]) رواية ابن عساكر: (لشبعته مقلاق ...)، ورواية تهذيب ابن عساكر: (يشيع مقلاق .. لا يزال مزيدا). مقلاق الوضين: مضطرب النسيج ، فلا يثبت على مكان
(الصحاح: (مادتا قلق، ووضن).

[104]) رواية بغية الطلب: (وقلما ...).

[105]) رواية تاريخ ابن عساكر والتهذيب: (وإن حاشاه...).

[106]) أدواء: جمع داء.

[107]) رواية البغية: (كما أفضيت...).
موّار: مار الشَيءَ إذ تردد في عرض (الأساس: 439)، رحل النضو: حمل البعير
(الصحاح: (مادة نضا).

[108]) رواية البغية: (تناقضه معروبة... وملوي الجانبي...)، رواية التهيذيب: (ملو الجانبين...) وكلتاهما غير مستقيمة عروضيًا.
قوله: (مقدداً...) أي مقطع منفرق (الصحاح: مادة (قدد).

12. إذَا زَار مَفْتونٌ بِدُنياه مَالكًا يُؤملُه زَارَ النَّبي محمّدا [110]
13. ألاذ بِمَومُوقِ الهُدَى ، بَاهر العُلا كَرِيم القِرى ، طَلْق النقيبةِ أوحَدا [111]
14. إذَا المَلأ الأعْلَى تَنَاجوا بِذِكْرِهِ وَرَامُوا هُدَاه ، كَانَ مِنْهُ لَهُمُ هُدى
15. إلَيْكَ رسولَ الله يممتُ ناظمًا قَوافي مَا يممْنَ غيرك مقصدا
16. تقَاوضَ عَمَّن لَم يَزل متقربًا إليكَ بمدحٍ لا يزالُ مُخَلّدَا [112]
17. وَحَاشَاكَ يَا ربَّ العُلا أنْ تردَّهُ بِغَيْرِ الّذي سَامى لهُ وتَرَدَّدا
18. وقَدْ – وأبيكَ الخير – شَرفتَ منطِقِي بِذِكْرك واستيقنت مجداً وسؤددا
19. فَصَلّى عَلَيْكَ اللهُ مَا شِئْتَ هَادِيًا وَمِنَّا وَمَا اسْتَصْرفْت عَنْ مُؤمِنٍ رَدا [113]

(2)

وقال يمدحه ρ[114]:

(من الرمل)

1. لِمَنِ النَّارُ عَلى مَرْفُوعَةٍ فِي يَفَاعٍ حَبْلُ عاليْهَا مغَارُ [115]
2. دُوْنَهَا الأميْ تناقلن الخطا والعِدَا قَدْ تَتَحَامَاهَا الشِّرَارُ [116]
3. لأُنَاسٍ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُم وَسَما في نَدْوَةِ الحَيِّ النِّجارُ [117]
4. لَهُمُ البَذخَةُ إنْ جَاثَاهُم شَامخٌ طاغٍ لَهُ الكِبْرُ شِعَارُ [118]
5. كُلّمَا نَادوا أَبَى ذَا شَرَفٍ فِي الوَغَى نَاءٍ فلبّاه نزارُ

---

[109]) رواية البغية للعجز: (كما هز ذمر يوم حرب مهندا).

[110]) رواية التهذيب: (أدار بمفتون...).

[111]) موموق: ومق، يمق، فهو موموق: أي محبوب (التاج: مادة (ومق). النقيبة: النفس (الصحاح: مادة (نقب).

[112]) رواية البغية : (تعاوضن عمن... بذكرك واستبقيت...). تقاوض: من المقايضة، أي المعاوضة (الأساس : 383).

[113]) رواية ابن عساكر: (وما استضرفت ...) ، ورواية البغية: (وساء وما ...).

[114]) القصيدة وردت في تاريخ ابن عساكر: 75/13، وتهذيب تاريخ دمشق: 172/4.
وهذه القصيدة كتبها الشاعر معارضاً لقصيدة (الأفوه الأودي) التي يفضل فيها (قحطان) وهو ابن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح أصل العرب القحطانيين، على (نزار) وهو ابن معد، بن عدنان، وهو أبو أياد وربيعة ومضر وأنمار، يتصل به النسب النبوي الشريف. وقد نهى النبي ρ عنها وقال: (إياكم وكلمة الأودي).
مما يشار إليه أنّ الحديث لم يرد في الأصول المعتمدة، إلا أنه وارد في كتب الأدب، ومعروف لدى علماء الأدب.
ينظر نص الحديث في: دمية القصر: 110/3.
وقد اندثرت هذه القصيدة فلا يعرف منها إلا أبيات ، ذكر ابن قتيبة في (الشعر والشعراء: 223/1) ثلاثة منها، وهي كما يقول الرواة : من جيد الشعر وأولها:
وشواتي خلّةٌ فِيْهَا دُوَارُ إنْ تَرَي رأسيَ فِيْهِ قَزَع
النزع: انحسار مقدم الرأس عن جانبي الجبهة (الصحاح: مادة (نزع) .
الشواة: جلدة الرأس (الصحاح: مادة (شوى)، خلة: مهزولة قليلة اللحم (الصحاح: مادة (خلل). كما ذكر عبد الرحيم العباسي خمسة أبيات منها في كتابه معاهد التنصيص: 145/2.

[115]) يفاع: اليفاع، التل المشرف، وقيل: هو المشرف من الأرض والجبل (التاج: مادة (يفع).
حبل عاليها مغار: أغرت الحبل فهو مغار، أي فتلته (الصحاح: مادة (غور).

[116]) البيت ساقط من التهذيب .

[117]) النجار: الطبع (الأساس : 447) .

[118]) البذخة: الكبر، والبواذخ من الجبال الشوامخ (الصحاح: مادة (بذخ)) .
جاثاهم: من الجثو، يقال : جثا على ركبتيه (الأساس: 52) .

6. غَزْوةٌ مَا أَنْجَدَ الرَّكْبُ بِمَا ... طَابَ مِنْ أَخْبَارِهم إلاّ وغَاروا [119]
7. قَصُرَتْ بِالأفْوَهِ الأوْدِيّ عَنْ ... رُتَبٍ ذَاوَدَهُ عَنْهَا العِثَارُ [120]
8. يَا بَنِي قَحْطَانَ أنتم ليلة ... ذَاتُ أسْدافٍ وَعَدنان النهارُ [121]
9. ألكُم أمْ لَهُمُ بالمُصْطفى ... شَمْخَةٌ فِي الحَيّ إنْ جَدَّ الجِوار
10. بِشَهيرٍ فِي السَّمواتِ العُلى ... صِيْتُه يُعْلَى لَهُ فِيْهَا المَنَارُ
11. وَلَعَمْرِي إنّكم فِي نَسَبٍ ... غَيْرَ أنّ الخَوْضَ فِي البَاطِلِ عَارُ [122]
12. لَكُمُ الْفَخْرُ إذَا حَاثَثْتُكُم ... فِي لُؤَيٍ أسلم يَومًا أوْ غفارُ [123]
13. فَدعوا للقوم ملكًا فِي العُلا ... والمَعَالي لَكُمُ ثَوْبٌ مُعَارُ
14. وَيَمِيْنًا بِالمهَارَى شربًا ... يَأخُذ القَيْصُومُ منها والعرارُ [124]
15. فَوْقَهَا كُلُ طَلِيْحٍ هَمُّهُ ... أنْ يَرَى الكَعْبَةَ يَعْلُوْهَا السِّتارُ [125]
16. لَوْ رَآ نِي نَاطقًا أفْوَاهكُم ... لانْثَنَى مُنْخَذِلًا فيه انكسَارُ

(3)

وقال يمدحه ρ[126]:

(من المنسرح)

1. يَا خَاتَمَ الأنْبِيَاءِ قَاطِبَةً ... أتَاكَ لَفْظُ الثّنَاءِ يَسْتَبِقُ
2. كُنْتَ نبيًا وَطِيْنُ آدَمَ مَجْـ ... ـبُوْلٌ وَتِلْكَ الأنْوَارُ تَأْتَلِقُ [127]
3. وَعُدت فِيْنَا هُدى إلى سُبُلِ الـ ... ـحقّ فَقَدْ أَوْضِحَتْ بِكَ الطّرُقُ
4. فَارْقَ عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ مرقية ... مصبِحُهَا فِي العلاء يَغْتَبِقُ [128]
5. واشْفَعْ لِمَنْ عَادَ فِي وَلائِك مَشْـ ... ـفُوْعَ القَوَافِي تتْلَى فَتَسْتَبِقُ
6. مِرْطٌ أليْفَاظُه التِي انتَظَمَت ... بِطِيْبِ عَلْيَاكَ في الوَرى عَبِقُ [129]
7. تَضُوعُ مِنْ مَجْدِكَ الأثيل إذا أسـ ... ـتفيض ذكر أطيب فينتشقُ [130]

---

[119]) أنجد الركب: أي تطلع إلى معالي الأمور (الصحاح: مادة (نجد).

[120]) الأفوه الأودي: صلاءة بن عمرو بن مالك، من بني أود من مدحج، شاعر جاهلي يماني, توفي في نحو سنة 50 قبل الهجرة . ترجمته في: الأعلام : 206/3.

[121]) أسداف: أي ذات ظلمة (الأساس: 206) .

[122]) في التهذيب: (في القاطل ...) وهو تحريف طباعي.

[123]) حاثثكم: أي حضكم (الصحاح: مادة (حثث).

[124]) إبل مَهْرِيَّة منسوبة إلى مَهْرَةَ بن حَيْدان: أبو قبيلة، وهم حيّ عظيم، والجمع مَهارِيُّ ومَهارٍ ومَهارَى، مخففة الياء؛ قال رؤبة:

به تَمَطَّتْ غَوْلَ كلِّ مِيلَهِ ... بنا حَراجِيجُ المَهارَى النُّقَّهِ

القيصوم: نبت بري (الصحاح: (قصم)، العرار: بهار البر، وهو نبت طيب الريح، الواحدة عرارة (الصحاح: مادة (عرر).

[125]) طليح همّة: أي هزيل الهمة (الأساس : 282).

[126]) القصيدة في تاريخ دمشق: 13/73-74، وبغية الطلب: 430/2، وتهذيب تاريخ دمشق: 171/4.

[127] : (إني ρ) مجبول: مخلوق (الأساس: 51)، وفي البيت إشارة إلى حديث النبي عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته). أخرجه الحاكم في المستدرك: 481/2، 600، والطبراني في المعجم الكبير: 253/18، وابن الجوزي في الوفاء: 25.

[128]) رواية التهذيب: (مرقية ...) .

[129]) بغية الطلب: 430/2, ورواية تاريخ دمشق: (ملك ألفاظه ...) وبه لا يستقيم البيت عروضيًا.

[130]) الأثيل: الأصل. (الصحاح: مادة (أثل) .

(4)

وقال يمدحه ρ[131]: (من البسيط)

1. مَنْ حَامِلٌ عَنْ أَخِيْهِ سَبْكَ مَألكَةٍ يَهزّهَا إنْ أفِيْضَ القَالُ والقِيْلُ [132]
2. يَقُوْلُ والْحُجُرَاتُ الغُرُّ تَسْمَعُهُ وَالوَفْدُ كُلٌّ بِمَا يَعْنِيْهِ مَشْغُوْلُ
3. هَلْ سَامِعٌ يَا رَسُوْلَ اللهِ أنْتَ لِمَنْ وَلاؤُهُ لَكَ مَرْوِيٌّ وَمَنْقُوْلُ
4. بَلغْتَ مِنْ غَايَةِ الإكْرَامِ مَنْزِلَةً عَنْهَا أَعِيْذَ الأمِيْن الرُّوح جِبْرِيْلُ [133]
5. فَعَادَ مَنْ رَامَ كفؤا من مَدَائِحه يزهى ومقوله بِالعَجْزِ مفلُولُ [134]
6. فَاقْبَل إلَيْكَ اختصارًا عُذرَ قَائِلِهِ إنْ حَقّ مَدحُكَ لَمْ يبلغْهُ تَطويلُ
7. وَلتُرْضِكَ الصلواتُ الغرُّ دائمةً يزينُ أمراطَها ما شئتَ ترفيلُ [135]

(5)

وقال يمدحه ρ [136]: (من البسيط)

1. يَا قَاصِدًا يثربَ الفيحَاءَ مُرتجيًا أنْ يستجير بِعَلْيَا خَاتَمِ الرُّسُلِ
2. خُذ مِن أخيك مقالًا إن صَدَعْتَ به مُدِحْتَ في آخِرِ الأعْصَارِ والأولِ [137]
3. قُل يَا مَن الفَخْرُ مَوْقُوْفٌ عَلَيْهِ فَإنْ تُذْوكِرَ الفَخْرُ لَمْ يَصْدِفْ وَلَمْ يَمِلِ [138]
4. صِيْتٌ إذَا طُلِبَتْ غَايَاتُهُ خَرِقَتْ سَبْعًا طِبَاقًا فَبَذّتْ كُلَّ ذِي أَمَلِ [139]
5. عَلَوتَ وازْدِدْتَ حَتَّى عَادَ مُمْتُدحًا جِبْرِيْلُ عَمَّا لَهُ قَدْ كَانَ لَمْ يَطِلِ [140]
6. وَعِدْتَ والكِبْرُ قَدْ نَافَى علاك فما عَدَوْتَ شِيمَةَ سبْطِ الخَلقِ مُبتهلِ [141]
7. أَتَتْكَ غرّ قَوافي المَدْح خَاضِعَةً لَدَيْكَ فاقْبَل ثَنَاءً غَيْرَ مُنْتَحَلِ [142]
8. ثَنَاءَ مَنْ لَمْ يَجِدْ وَجْنَاءَ تَحْمِلُهُ إلَيْكَ أو صُدّ بالإقتارِ عَنْ جملِ [143]

---

[131]) القصيدة في تاريخ مدينة دمشق: 73/13 ، وبغية الطلب: 429/2 وتهذيب تاريخ دمشق: 170/4.

[132]) رواية ابن عساكر: (بسبط ...)، المألكة : الرسالة (الأساس: 9).

[133]) يشير إلى حديث الإسراء والمعراج الطويل: ((بينما أنا في الحطيم ...)) أخرجه البخاري في صحيحه باب المعراج حديث: 3887، ومسلم في كتاب الإيمان حديث: 265، وابن الجوزي في الوفا: 222-225.

[134]) مغلول: أي مهزوم مكسور (الصحاح: مادة (غلل).

[135]) أمراطها: جمع مرط، وهي أكسيةٌ من صوفٍ أو خزّ كان يؤتزر بها. (الصحاح: مادة (مرط).
ترفيل: الترفيل، إطالة الثياب والتبختر بها (الصحاح: مادة (رفل).

[136]) القصيدة في تاريخ ابن عساكر: 73/12، وبغية الطلب: 429/2، ومعجم الأدباء: 241/8.

[137]) رواية البغية: (إن جهرت ...).

[138]) قوله: (لم يصدف ...) أي لم يعرض, الصحاح مادة: (صدف).

[139]) فبذت: يقال: رجل باذّ الهيئة، وبَذّ فلان أصحابه، أي غلبهم (الأساس: 18).

[140]) رواية معجم الأدباء: (حتى عاد منتزحًا).
ومنتزحًا: أي مبتعدًا (الصحاح: ماد (نزح) ويشير إلى حديث الإسراء السابق الذكر.

[141]) رواية التهذيب: (عددت شيمة ...).

[142]) رواية تاريخ دمشق: (غر القوافي ...) وما أثبتناه أولى. غير منتحل, يقال: انتحل فلان شعرًا أو قولاً، إذا أضافه لنفسه, ينظر الصحاح مادة: (نحل).

9. صَلّى عليكَ إلهُ العرشِ مُشْتملاً عليْكَ يَا خيْرَ مِنْ حافٍ وَمنتعلِ [144]

(6)

قال يمدحه ρ [145] :

(من البسيط)

1. للهِ أخْلاقُ مَطْبُوعٍ عَلى كَرَمٍ وَمَنْ بِهِ شَرفُ العَلْيَاءِ والْكَرَمِ
2. أَغَرُّ أَبْلَجُ يَسْمُو عَنْ مُسَاجَلَةٍ إِذَا تُذُوْكِرَتُ الأَخْلاقُ وَالشِّيَمُ [146]
3. سَمَتْ عُلَاكَ رَسُوْلَ اللهِ فَارْتَفَعَتْ عَنْ أَنْ يُشِيْرَ إلى إِثْبَاتِهَا قَلَمُ
4. يَا مَن رَأى المَلأ الأَعْلَى فَرَاعَهُمُ وَعَادَ وَهْوَ عَلَى الكَوْنَينِ يَحْتَكِمُ [147]
5. يَا مَنْ لَهُ دَانَتِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَتِ الـ أُخْرَى وَمَنْ بِعُلَاهُ تَفْخَرُ النَّسَمُ [148]
6. يَا مَنْ أَعَادَ جَمَالَ الحَقّ مُتَّضِحًا مِنْ بَعْدِ أَنْ ظُوْهِرَتْ بِالبَاطِلِ الظُّلَمُ
7. وَمَنْ تَواضَعَ جِبْرِيلُ الأمينُ لَهُ وَدُون حقّ نَهَاهُ هَذِهِ القِسَمُ [149]
8. عَلَوتَ عَنْ كُلِّ مَدْحٍ يُسْتفاضُ فَمَا الـ ـحَلَالُ إلاّ الّذِي تَنْحُوْهُ والعِظَمُ
9. عَلَى عُلاكَ سَلامُ اللهِ مُتَّصِلًا مَا شِئْتَ والصلواتُ الغرُّ تَبْتَسِمُ [150]

الخاتمة ونتائج البحث والتوصيات

بعد هذه الوقفة مع شاعرنا أبي نزار النحوي, تبين لنا أنه لا يمكن لدارسي شعر المديح النبوي إلا أن يقفوا على شعره الذي أمدَّ أدبنا العربي بقصائد متعددة لم تتوافر لأحد قبله, تعد إضافة في هذ الجانب. وقد جمع شاعرنا مع رهافة حسه وذوقه الأدبي علومًا متعددة كالنحو والفقه وعلوم الحديث, فكان بحق موسعةً علميةً أدبيةً تركت لنا آثارًا في علوم شتى.

وقد وصل الباحثان إلى بعض النتائج والتوصيات نوجزها بالآتي:

---

[143]) الوجناء: الناقة الشديدة, الصحاح, مادة: (وجن). الإقتار: ضيق النفقة أو الافتقار, الصحاح, مادة: (قتر).

[144]) لم يرد البيت في معجم الأدباء: 125/8.

[145]) القصيدة واردة في تاريخ دمشق: 72/12-73، وبغية الطلب: 431/2 وفيها: (به بشرف) وبه يختل الوزن، وتهذيب تاريخ دمشق: 170/4.

[146]) رواية البغية: (إذا تفوكرت ...) الواردة في حديث أم معبد في قولها: (رأيت رجلًا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه). أخرجه الحاكم في المستدرك: 10/3، وابن الجوزي في الوفا: 396. وفي البيت إشارة إلى صفاته ρ

الأغر: الأبيض (الصحاح: مادة (غرر)) ، والأبلج : من تبلج الصبح؛ إذ أسفر (الصحاح, مادة: (بلج)، وقوله: (يسمو عن مساجله ...) المساجلة: المفاخرة (الأساس: 203).

[147]) رواية البغية: (يا من رأى ...) يشير إلى حديث النبي ρ) : ((ولد آدم كلهم تحت رايتي)). أخرج الحديث: أحمد في مسنده: 281/1، وسنن الترمذي: 314/8، 392.

[148]) يشير إلى ميزة النبي ρ) وأمّته على سائر الأنبياء والأمم. ينظر حديث: ((أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء)). أخرجه البخاري في صحيحه: 119/1، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد حديث 3.

[149]) تواضع: أي توافق على الشيء, الصحاح مادة: (وضع).

[150]) رواية التهذيب (ما شئته ...) وبه لا يستقيم البيت عروضيًا.

- اتسم شعر أبي نزار النحوي, بسهولة ألفاظه ووضوح معانيه, وكذا صوره إذ وردت خالية من الغموض والتعقيد.
- رفد شاعرنا الأدب العربي بست قصائد طوال في المديح النبوي لم يسبقه إلى هذا الكم شاعر آخر.
- مثَّلت الحقيقة المحمدية والمعجزات النبوية وأخبار الصحابة المادة الأساس لقصيدة المديح النبوي.
- خَفَتَ فن المدائح النبوية لسنوات طوال بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الساحة الأدبية, وهو – في رأينا – يعود إلى غياب عنصر المنافسة بين الشعراء في ميدانه, وبروزه في أغراض أخرى كالمدح والغزل والهجاء وغيرها.
- تميزت قصائد المدح النبوي بالصدق والمحبة والوفاء والإخلاص, على عكس ما يسمى بالمدح التكسبي أو مدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء, وذلك لأنَّ هذا المدح خاصٌ بأفضل الخلق ألا وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي ضوء ما تم التوصل إليه من نتائج فإنَّ الباحثَيْن يوصيان بالآتي:

- توجيه عناية الباحثين إلى الاهتمام بهذا الشاعر الذي أُغمط حقه في هذا اللون الشعري, فحينما يذكر شعراء المديح النبوي لا يُذكر إلا البوصيري والصرصري وابن الفارض وغيرهم.
- يستحق شاعرنا أن يُفرد بدراسة علمية مستقلة, لما له من جهود علمية وأدبية متعددة تستحق الدراسة والاهتمام.

المصادر والمراجع

1. الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري، د. علي صافي حسين، مطبعة دار المعارف _ القاهرة 1964م.
2. أربعة شعراء عباسيون، د. نوري محمود القيسي والأستاذ هلال ناجي، ط1 ،1944، دار الغرب الإسلامي، بيروت_لبنان.
3. أساس البلاغة _ لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت _ لبنان (1399هـ _ 1979م).
4. الأعلام، لخير الدين الزركلي (ت 1396هـ)، ط/4، دار العلم للملايين، بيروت،1979م.
5. إنباه الرواة على أنباه النحاة _ لأبي الحسن مجال الدين علي بن يوسف القفطي (ت646هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (1955 _ 1973م).

6. البداية والنهاية _ لابن كثير إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرين، ط/4، دار الكتب العلمية، بيروت (1408هـ _ 1988م).
7. بردة البوصيري وأثرها في الشعر المديح النبوي الذي نهج نهجها حتى عام 1932م، رسالة تقدم بها طارق أمين ساجر إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد (1427هـ _ 2006م).
8. بغية الطلب في تاريخ حلب _ لابن العديم (ت660هـ)، تحقيق د. سهيل زكار ، دار الفكر، دمشق،1978م.
9. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة _لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/1، المكتبة العصرية، بيروت _ لبنان (د. ت).
10. تاج العروس من جواهر القاموس _ للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت1205هـ) حقّقه جماعة من المحققين، طبع الكويت، منذ سنة (1385هـ _ 1965م)(1419هـ _ 1998م) بثلاثين جزءًا.
11. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام _ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
12. تاريخ مدينة دمشق _ لأبي القاسم علي بن الحسين المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، تحقيق علي شيري، مطبعة دار الفكر _ بيروت 1415هـ.
13. تذكرة الحفاظ _ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
14. تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر _ عبد القادر بدران(معاصر)، دمشق(1329هـ _ 1351هـ).
15. خريدة القصر وجريدة العصر _ لعماد الأصفهاني(ت597هـ)، حققه وشرحه محمد بهجة الأثري ، المجمع العلمي العراقي، (1375هـ _ 1955م).
16. دمية القصر وعصر أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي (ت467هـ)، تحقيق د. سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد(1971م).
17. ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد 1964 .
18. ديوان الأعشى الكبير _ ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد حسين، المطبعة النموذجية،(د.ت).
19. ديوان البوصيري _ تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1955م.
20. ديوان الصرصري _ دراسة وتحقيق _ رسالة تقدم بها فراس عبد الرحمن لنيل درجة الماجستير في جامعة الأنبار _ كلية التربية (1999م).
21. ديوان أبي المظفر الابيوردي _ تحقيق عمر الأسعد، مطبعة زيد بن ثابت،1974م.

22. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) _ للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي _ بيروت (د.ت).
23. سير أعلام النبلاء _ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوطي، ط/4، مؤسسة الرسالة _ بيروت، (1406هـ _ 1986م).
24. شذرات الذهب في أخبار من ذهب _ لأبي الفلاح عبد الحي العماد الحنبلي (1089هـ)، دار الفكر للطباعة،بيروت ، (د.ت).
25. الشعر والشعراء _ لأبي محمد عبد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، شرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث ، القاهرة (1432هـ _ 2003م).
26. الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد (547هـ _ 656هـ) _ عبد الكريم توفيق العبود، دار الحرية، بغداد، 1976م .
27. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) _ إسماعيل بن حماد الجواهري (ت 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط/4 ، دار العلم للملايين، بيروت _ لبنان (1407هـ _ 1987م).
28. صحيح البخاري _ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) ، دار الفكر _ بيروت (1986م).
29. صحيح مسلم _ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت261هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (د.ت).
30. طبقات الحنفية وهو المسمى (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) _ لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي (ت775هـ)، كراتشي.
31. طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه (ت851هـ) تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط/1، (1407هـ).
32. العبر في خبر من غبر _ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ)، تحقيق محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان (د.ت).
33. العين _ للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد _ بغداد (1980م _1985م).
34. غريب الحديث _ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي تحقيق د. حسين محمد محمد شرف مراجعة عبد السلام هارون المطابع الأميرية 1404هـ 1984م
35. الكامل في اللغة والأدب _ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (ت285هـ)، مراجعة تغاريد بيضون ونعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط/2، بيروت _ لبنان (1409هـ_ 1989م).
36. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون _ لمصطفى بن عبد الله الشهيد الملقب بحاجي خليفة (ت1067هـ)، دار العلوم الحديثة، بيروت _لبنان (د.ت).
37. لسان العرب, لابن منظور, (ت 711 هـ), دار صادر – بيروت.

38. المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، جمعها يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار المعرفة، بيروت (د. ت).
39. مختصر المحتاج من تاريخ ابن الدبيثي _ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت637هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).
40. مختصر صحيح مسلم _ لعبد العظيم المنذري (ت656هـ)، ط/1، الدار الكويتية (1969م).
41. المدائح النبوية بين الصرصري و البوصري _ د. مخيمر صالح، ، الدار العربية عمان ، ط/1، (1406هـ _ 1986م) دار ومكتبة الهلال _ بيروت.
42. المدائح النبوية في أدب القرنين السادس والسابع الهجري _ د. ناظم رشيد، دار الشؤون الثقافية العامة _ بغداد (2002م).
43. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان _ لأبي محمد بن عبد الله بن أسعد اليافعي (ت768هـ)، مؤسسة الاعلمي _ بيروت، ط/2، (1390هـ _ 1970م).
44. المستدرك على الصحيحين في الحديث _ للحاكم محمد بن عبد الله (ت405هـ)، مطبعة النصر الجديدة، الرياض، (د.ت) .
45. مسند الإمام أحمد _ للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، المطبعة الميمنية _ مصر، (1313هـ).
46. معاهد التنصيص _ لبعد الرحيم بن أحمد العباسي (ت963هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة _ مصر، (1367هـ).
47. معجم الأدباء _ لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ)، مطبوعات دار المأمون، الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _ لبنان (د.ت).
48. المعجم الكبير _ لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني(ت360هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط/2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، (1404هـ _ 1983م).
49. معجم المؤلفين _ لعمر رضا كحاله ، المكتبة العربية ، مطبعة الترقي _ دمشق (1380هـ _ 1961م) .
50. المنهج الأحمد في معرفة أصحاب الإمام أحمد _ لأبي اليمن مجيد الدين عبد الرحمن (ت928هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ط/1، 1938م.
51. النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهرة _ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت847هـ)، الموسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (1963م).
52. نكت الهميان في نكت العميان _ لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (764هـ)، القاهرة _ مصر، 1911م.
53. وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان _ أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن كان (ت 681هـ)، تحقيق د. إحسان عباس،دار صادر، بيروت، 1977م.

54. الوفا بأحوال المصطفى _ لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت (1988م).
55. الوافي بالوفيات _ لصلاح الدين خليل بن أيبك ألصفدي (ت764هـ)، تحقيق هلموت رتير، ط/2، 1961م.